مراوغة الحداثة

قراءة مغايرة لشعر البردُّوني

{ في كتابه »بردّونيات : النص والمنهج« يقدّم الأديب الناقد عبدالله علوان قراءة نقدية ودراسات تحليلية لعدد من قصائد شاعر اليمن عبدالله البردّوني، قام باختيارها ودراستها وأعطاها هذا الاسم »بردّونيات«، وهو اسم يجعل القصائد المختارة لصيقة باسم الشاعر، وأنها الأكثر تعبيراً عن شعره وفكره.

رغم أن الكاتب يقدم تفسيراً مختلفاً لهذا الاسم »بردّونيات، اسم نكرة، لا يفيد الشمول ولا يفيد العمومية، كما يقول علماء البلاغة، وإنما يفيد التبعيض والنسبة«، لكن هذه النسبة تشمل كل قصائد البردّوني، ولا تكفي لتبرير الاختيار، لذا يضيف الأستاذ عبدالله علواني إلى ما سبق، مبرراً أن هذا الاختيار »هدفه التحديد والبيان«، تحديد النص وبيان مقوماته الفكرية.

وهو يقتفي في قراءته لقصائد البردُّوني منهج البردُّوني نفسه، »فما هو نهج البردُّوني؟ هل هو واقعي، يأخذ بالمادية الجدلية والتاريخية؟ أم هو رومانسي يأخذ بالمثالية الذاتية؟ أم هو كلاسيكي يأخذ بالمثالية الموضوعية؟ وهل هو أشعري أم معتزلي أم هو شاعر شيعي؟«.

هشام علي

الحقيقة أنه كل ذلك وفوق ذلك، كل هذه المذاهب تمتزج في ثقافة البردُّوني، وتكون الواقعية هي النهج الرحب لأشعاره وأفكاره، وهذا المنهج الواقعي هو الذي جعل البردُّوني شمساً تشرق كل يوم، وإن كره الكافرون، إنه واقعية بلا ضفاف.

ومن الواضح أن الكاتب يقصد الفلسفة أو المدرسة الأدبية التي ينتمي إليها البردُّوني، وليس المنهج الذي يتبعه، فالشعر لا يتبع منهجاً معيناً، وربما أنه لا ينحصر في مدرسة أو فلسفة معينة يختارها الشاعر أو المبدع، وقد رأينا أن أعمالاً روائية – مثلاً – جاءت مختلفة عن فلسفة مؤلفيها ومواقفهم السياسية.

وقبل أن ندخل في تفاصيل هذه القراءات النقدية لشعر البردُّوني نتوقف قليلاً عند الأستاذ الناقد عبدالله علوان، الذي يتّحد مع البردُّوني في بعض الصفات، أبرزها الجمع بين الثقافتين التقليدية والحديثة وسعة الاطلاع والمعرفة، بالإضافة إلى طريقة التحليل التي تتميز بالتشابك والتداخل وكثرة الإستطراد.

وعبدالله علوان كاتب ومناضل وطني، ارتبط الأدب عنده بالمواقف والمسؤولية تجاه الوطن ومتغيراته، وقد اتخذ في كتابته نهجاً يسارياً ماركسياً، وهو النهج ذاته الذي اتخذه في السياسة، ويمكن أن نلاحظ آثار هذا الاختيار الفكري والسياسي في هذا الكتاب، رغم ما يبديه الكاتب من تراجع ومراجعة لذلك الاختيار الماركسي الذي كان أيديولوجيته الحاكمة على كثير من الأعمال الأدبية منذ السبعينيات في القرن الماضي.

ولعل مشكلة عبدالله علوان في هذا الكتاب تكمن في هذا التحول الفكري وهذه المراجعة النقدية لمساره السياسي والفكري، وليست المشكلة في التحول ذاته، فمن حق كل مثقف أن يتحول، وأن يعيد مراجعة أفكاره وترتيبها، وقد تحدث البردُّوني نفسه عن تحولات المثقفين، وأشار إلى أن المثقف الحقيقي هو الذي يتغير بالثقافة ويغير بها، كما أن تناقض المفكر مع نفسه ليس أمراً سالباً، بل هو تعبير عن علاقة جدلية بين الفكر والواقع، وهو تعبير كذلك عن مراجعة نقدية يقوم بها المثقف لأفكاره ومساره، وتغدو هذه التحولات ضرورة حين تكون علاقة المثقف بمجتمعه ومتغيراته هي الركن الأساسي في التكوين الفكري للمثقف وفي تحديد دوره التاريخي في المجتمع.

وقد كان البردُّوني نموذجاً لهذا المثقف الذي ارتبط تطوره الفكري والشعري بمسار المجتمع ومتغيراته، فرسم خطاً لتحولاته الشعرية من الكلاسية إلى الحداثة، عبوراً بالرومانسية والواقعية، موازياً للتغيرات التاريخية التي شهدتها اليمن خلال النصف الثاني من القرن العشرين.

ولم يكن الانتقال بين المدارس والنظريات نوعاً من التطور المنهجي المقصود، بل كان تعبيراً عن اندماج الفكر والإبداع بتحولات اليمن، فكل تحول سياسي كان يحمل خطاباً سياسياً وفلسفة وفكراً، وهي كلها نظريات لم تعلن أو لم يتحقق حضورها الفكري، فالحرب والصراع السياسي كانا غالبين على المشهد التاريخي في تحولات اليمن من الملكية إلى الجمهورية، بيد أن البردُّوني المفكر المبصر كان واعياً لذلك الخطاب الفكري الغائب أو الضائع في زحمة »قوقعة السلاح« وهدير الشعارات الهائجة، ونجد تجليات ذلك الوعي العميق واضحة في كتاباته الشعرية والنثرية.

نعود إلى تحولات ابن علوان، وهي شبيهة إلى حد كبير بتحولات البردُّوني، لكن عبدالله علوان ارتبط فكره بالتزام حزبي وقيود أيديولوجية، وكان في عمله السياسي والثقافي مخلصاً لهذا الالتزام الذي لم يتحرر منه، حتى في قراءاته للأدب والفن، وهي السمة التي جعلت نقده غارقاً في أحابيل الواقعية الاشتراكية والتحليل الأيديولوجي للأدب، وينبغي أن نضيف إلى ذلك معرفة عبدالله علوان بتراث النقد العربي والتحليلات اللغوية، وهو ما يضفي تأصيلاً لمنهجه النقدي وقدرة على استيعاب المجازي والبلاغي في النص الأدبي ومقاربته بطريقة بنيوية تستبعد منهج الجرجاني وأبي هلال العسكري وغيرهما، لكن تحولاً فكرياً قد ظهر في كتابات عبدالله علوان، فأخذ يتخلى عن تلك الأيديولوجيا الماركسية التي حكمت فكره ونضاله السياسي قرابة ثلاثة عقود تقريباً، وبدأ مراجعة نقدية لفكره وقناعاته، وكان هذا في تسعينيات القرن الماضي على الأرجح، حيث كان سقوط الاتحاد السوفيتي وتفكك المعسكر الاشتراكي باعثاً على إعادة النظر في الفكر الماركسي وفي المادية الجدلية والمادية التاريخية التي حددت هذا الفكر ونظرياته الفلسفية والتاريخية، هذا هو السبب الظاهر، كما يبدو في كثير من حالات المراجعة التي قام بها عدد من المثقفين العرب.

وربما يكون للأستاذ عبدالله علوان أسبابه الذاتية الأخرى، إلا أنه لم يكتب شيئاً عن هذه التحولات الفكرية التي مرّ بها، ومع ذلك فإننا نجد في هذا الكتاب »بردُّونيات« مثالاً واضحاً لهذه التحولات، حيث يتخلى علوان عن أسلوبه الواقعي ومنهجه الماركسي، ليتجه نحو مقاربة إسلامية في النقد، بل إنه يحاول أن يضع عباءة الفقيه وعمامة الداعية على رأس عبدالله البردُّوني من خلال قراءة لأشعاره تجعله قريباً من اتجاهه الإسلامي الراهن أو تفرض على البردُّوني التحولات الفكرية التي يعيشها عبدالله علوان، وهنا تكمن أزمة عبدالله علوان في قراءته لشعر البردُّوني واستنتاجاته المغايرة لفكر البردُّوني وقناعاته التي عاش بها ومات دون أن يغيّرها.

والمشكلة في رأيي لا تكمن في إنجاز قراءة اختلاف ومغايرة لفكر عبدالله البردُّوني، بل ما أحوجنا إلى تحقيق مثل هذه القراءات الاختلافية التي تحطم الصنمية الغالبة في كثير من كتاباتنا التي تتناول أدباءنا الكبار وترفعهم إلى مرتبة عالية من التقديس، وقد عانى البردُّوني من هذا الأمر كثيراً.

أقول إن عبدالله علوان لم يقم بمثل هذه القراءة الاختلافية، بل على العكس، لقد قام بالاتحاد مع فكر البردُّوني واتبع منهجه، كما قال في مقدمة الكتاب، إلا أنه قاد البردُّوني إلى نهايات لا تتفق مع فكره، وفرض على البردُّوني ذلك التحول الذي اختاره لنفسه، أو لنقل – حسب مثال شهير في النقد – إن عبدالله علوان وضع البردُّوني على سرير بروكوست، وقام بقطع أطرافه أو شدها لتصبح متوافقة مع مقاييس السرير الشهير.

لقد قام ابن علوان باختيار عدد من قصائد البردُّوني، دارت في غالبيتها حول تحرر المجتمع وحداثته، وتناولت بأسلوب نقدي، كما هو معهود في شعر البردُّوني، هذه التغيرات السياسية، ولم ينظر إلى الحداثة بصورة أيديولوجية مثالية، وهو ما يفعله دعاة الحداثة، فالحداثة في نظر البردُّوني مشروع للتغيير ومهمة كبرى تتجاوز الشكل والتشكيل.

التقط عبدالله علوان نقد البردُّوني للحداثة، وهو نقد يهدف إلى تحقيق الحداثة واكتمالها، حوّل عبدالله علوان هذا النقد ليستنتج نتائج تختلف عن فكر البردُّوني، فقصيدة »خوف« التي يصوّر فيها البردُّوني المناخ السائد في السبعينيات من القرن الماضي، وتكثر فيها الانتهازية والوشاية والغدر، تتحول في تحليل عبدالله علوان إلى أنها موجهة إلى الثقافة الحديثة والأيديولوجيات الليبرالية والاشتراكية التي تملأ الشوارع والمبارز وتنشر أفكارها مواعيد كاذبة ومواعيد متقنة أو قل مؤامرات تمكر بالشعب وبالوطن وتقتل الثقافة العربية الإسلامية بدعاوى الحداثة وشعاراتها المغرية، كما يتحدث عن حداثة التدمير التي تظهر في قصيدة البردُّوني أو التي يصفها البردُّوني بهذا الوصف.

هذه النتائج التي خلص إليها عبدالله علوان في قراءته تجعل البردُّوني غريباً عن قصيدته، وتجعلنا غرباء مذهولين أمام البردُّوني الذي نعرفه، والنتيجة نفسها يستخلصها من قصيدة »صنعاء الحلم والزمان«، حيث يذكر أن القصيدة تتحدث عن الثقافة الشعبية في صنعاء بأصولها الإسلامية والثقافات الوافدة، الليبرالية والإقطاعية والثقافة الحديثة التي وصفها بأنها كسيحة أو هي مجرد شعارات، وهي خفية وجلية في آن، إنها الثقافة الحديثة، وإلى جانبها الثقافة الاشتراكية التي تؤدي وظيفة التدمير، تدمير الثقافة العربية الإسلامية، وتدمير البيئة الصنعانية عبر الأحزاب السياسية المتناحرة مع بعضها والمتحالفة ضد مدينة صنعاء وأبنائها.

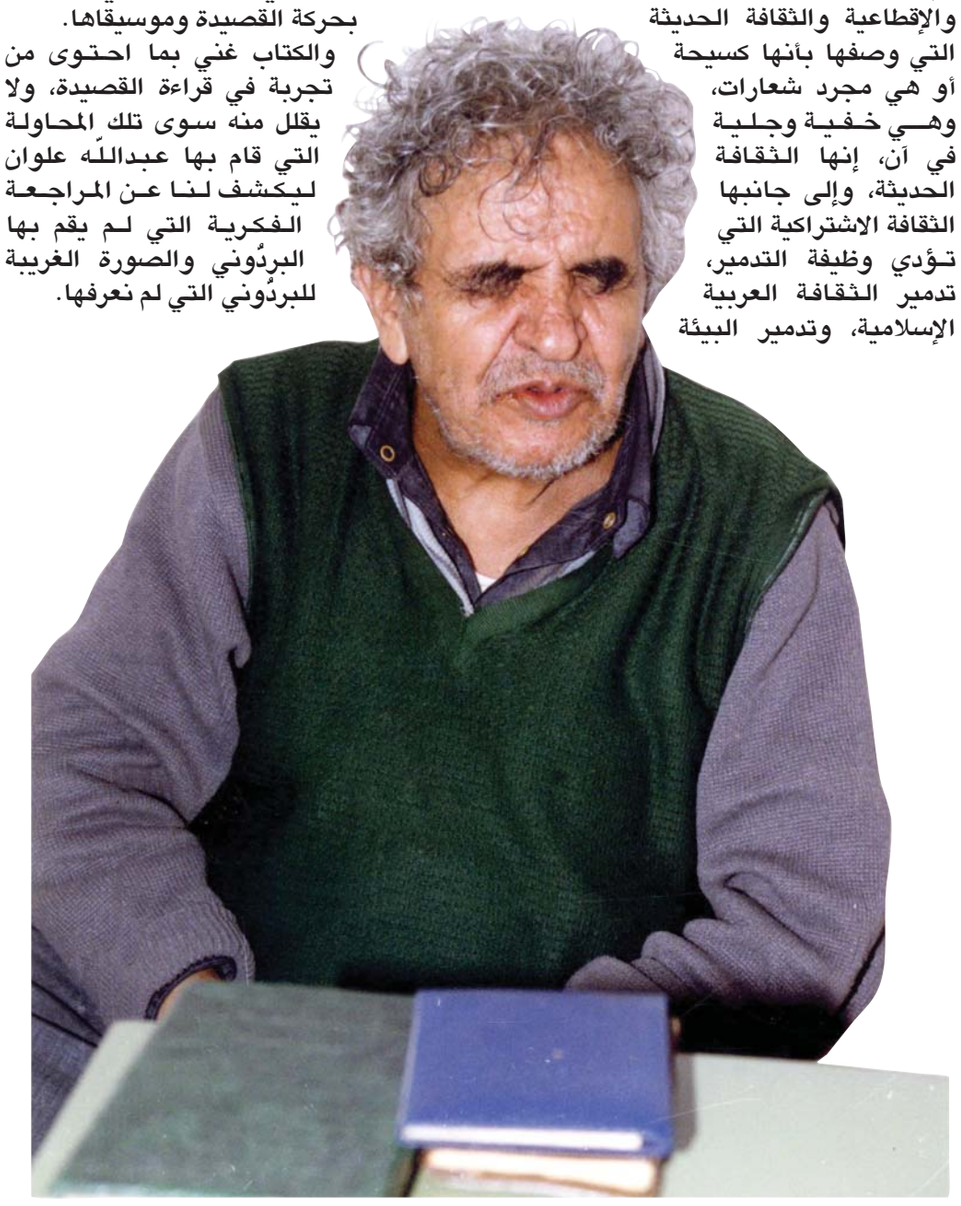

والخلاصة نفسها تتكرر في قراءة علوان لكثير من قصائد البردُّوني، وبهذا نجد البردُّوني قد تحول إلى داعية إسلامي، فالصورة التي عرفناها عن البردُّوني كمفكر نقدي علماني تتحول في قراءة علوان لشعر البردُّوني لتكشف لنا عن بردُّوني آخر، تنطبق على أشعاره نفس التحولات الأيديولوجية التي أصابت عبدالله علوان، وبدلاً من أن يتتبع علوان منهج البردوني،، حسب قوله في مقدمة الكتاب، قام هو باقتياد البردُّوني إلى طريق آخر، يختلف عن ذلك الطريق الذي أضاءه البردُّوني بنور العقل، وبالشك في يقينيات الفكر الجاهز، بما في ذلك يقين السياسة وأيديولوجيات اليسار المتحارب التي وجّه لها البردُّوني نقداً لاذعاً.

لا بد في الأخير من الإشارة إلى جوانب أخرى مضيئة في نقد عبدالله علوان، أهمها ذلك الترابط الذي أقامه بين بحور الشعر من جهة، وبين البنية الشعورية للقصيدة، وهي تجربة خرجت من قيد العروض والقافية، وفتحت النص على المعاني والدلالات التي امتزجت بحركة القصيدة وموسيقاها.

والكتاب غني بما احتوى من تجربة في قراءة القصيدة، ولا يقلل منه سوى تلك المحاولة التي قام بها عبدالله علوان ليكشف لنا عن المراجعة الفكرية التي لم يقم بها البردُّوني والصورة الغريبة للبردُّوني التي لم نعرفها.

أدباء ذمار يحتفون بتجربة الأديب الراحل أحمد العصار

ذمار/ سبأ

احتفى أدباء ومثقفو محافظة ذمار أمس بتجربة الكاتب والأديب الراحل أحمد صالح العصار في فعالية خاصة نظمها فرع اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين بالمحافظة.

وفي الفعالية نوه الوكيل المساعد للمحافظة حمود دماج بدور النخب الثقافية في إعادة قراءة الأحداث التي تشهدها المنطقة العربية بنوع من التجرد والعمل على تنوير المجتمع بأفكار تخدم قضايا الأمة والمجتمع وتغليب المصلحة الوطنية على المصالح الخاصة.

ولفت إلى دور الأديب احمد صالح العصار في تبني قضايا المجتمع والتعبير عن همومه وتطلعاته من خلال كتاباته في ثنايا الصحف خلال فترة زمنية هامة من تاريخ اليمن.

وقال دماج: ما أحوجنا اليوم إلى عشرات الكتاب من أمثال احمد العصار ممن يرجحون المصالح الوطنية على المصالح الخاصة ويسخرون ملكاتهم الفكرية لخدمة قضايا المجتمع المعززة للتنمية والاستقرار.

فيما أشار عضو المجلس التنفيذي لاتحاد الأدباء والكتاب حسين الصوفي إلى إسهامات العصار في إثراء المشهد الثقافي على مستوى المحافظة وتعزيز الحركة الإبداعية في جوانب معينة من النشاط الأدبي العام.

وقدمت في الفعالية شهادات عن تجربة الكاتب الراحل و إسهاماته من قبل مفتي ذمار القاضي العلامة محمد العزي الاكوع ورئيس فرع الاتحاد بالمحافظة عبده علي الحودي وعضو الاتحاد الشاعر عبدالله لقمان والشاعرة خديجة داديه بينت الخصوصية التي امتاز بها نشاطه واهتماماته في جوانب الحياة وقضايا المجتمع والأمة.

وألقى نجل الفقيد الشاب جمال احمد العصار كلمة أشاد فيها بجهود فرع الاتحاد لإقامة هده الفعالية والتذكير بهذه الشخصية كنوع من الوفاء ورد العرفان لمشوارها الحافل.

الصراع.. والوطن

●،، دائماً ما نسمع بالصراع والاقتتال ويدور كل ذلك حول الثروة والأرض، ففي الذي يتصارع فيه المختلفون الكل يسوق لأفكاره وأهدافه ونواياه التي تتأتى من خلالها السعادة ويتبعها المريدون بتلك الأفكار والأهداف وإن كانت مجرد لافتات براقة ولا تتعدى ذلك، أظن أن الصراع والاقتتال متكرر في مراحل متعددة من التاريخ في حياة العرب، حيث يلتقي المتصارعون في حلبة هي متمحورة حول السيطرة ويفض هؤلاء القدر الذي يتسبب به ذلك الصراع في التأخر، والتخلف لأن العلم ومبدأ الاختلاف مستبعد من حياة أولئك مما يؤدي إلى أن الدول الكبرى التي تركض وراء السيطرة وإذكاء روح الاقتتال ترى في المناطق الضعيفة والمتخلفة مرتعاً خصباً لاستمرارية سيطرتها متخذة من التخلف والضعف وسيلة وحيدة لابتزاز هذه المناطق المتصارعة، وتعمل هذه الدول على بذر روح التمايز والعرقية وتأجيج الاختلاف الفكري وبذلك أبعد الإخوة المتصارعون عن الدين الذي لا يميز بين عرق وثقافة ويتيح فرصاً للاختلاف، بل والإيمان بالاختلاف – فيخسر المتصارعون الفكر والثروة والأرض علاوة على الدين ونفي التعدد والاختلاف الذي ينم على الثراء والعلم والفكر.

علي أحمد عبده قاسم

إن ما يميز الصراع في الساحة أنه صراع إلغاء واقصاء وعدم اعتراف بالآخر أو بالطرف الثاني، إن الاعتراف بالمواطنة هو اعتراف بالجميع والاعتراف بالانتماء، وإن الكل يشتركون في حق العيش والحياة في هذا الوطن الذي لا يختلف عليه اثنان وأن يقبل كل فرد بالآخر على تعدد مشاربهم ومذاهبهم، ولكن نحن نختلف في الوطنية وهي التي تؤدي إلى الصراع فإذا كانت المواطنة العيش والقبول لكل أفراد الوطن في رقعة واحدة، أما الوطنية فإنها الحب والانتماء للوطن والتفاني من أجله ولكن أخذت هذه القيمة كشعار وظفه البعض لغايات فيها من الصراع والتراشق باسم الوطنية مما أفضى إلى تغليب الأحزاب المصالح على المواطنة والوطنية ولم تتمكن من استيعاب الأفكار والاتجاهات لأن ثمة إصراراً على الصراع الذي ينم على الاعتراف بالذات فقط فتتنفتح الجراحات التاريخية والثارات السياسية المستمرة فتصبح قيمة السلام والاستقرار قيمة زائفة غير حقيقية ويكرس الضعف ويقوى العدو ويضمحل العلم فتتحول الساحة الخالية من العلم والقوة إلى مسرح يستفيد منها العدو لأن الشعور الحقيقي بالانتماء والولاء للوطن ينعكس للجماعة والحزب الذي يسعى لغايات سياسية لذلك لن يتحصل المواطن على حقوقه وعدم انتهاكها ولن يشارك بفاعلية في نهضة الوطن لأنه شرنق ذاته في الانتماء للجماعة والحزب وألغى الوطن الذي يعتبر الأرض الخالدة ويظل السلام قيمة متشظية لن يتمكن المواطن من خلق علاقة مصالح مشتركة بينه وبين مؤسسات رسمية حديثة وبذلك يطغى ثالوث التخلف والفقر والجهل والمرض، ولم يدرك المتصارعون أنهم يأكلون في ذاتهم وساحتهم هي الميدان والآخر يتطور وينهض ويسلط عليهم أساليبه الحديثة في تأجيج الصراع فأين الهوية الوطنية وسط هذا الصراع؟